مملكة الوعول

قصة بقلم
عبد الرحمن الربيعي

أخذ سعدي يتثاءب ثم يربت على صدره محاولا تبديد الخدر الذي اقتنص اعضاءه وتوسدها . وحانت من الزبائن نظرات غامزة اليه فتظاهر باللامبالاة ، وأطلق زفرة طويلة عاد بعدها الى التثاؤب . وتناقلت الافواه والآذان همسات سرية أخذت تقصمه وتقطعه اوصالا ثم تنشر أشلاءه على حبل طويل .

لقد اعتاد سعدي هذه الهمهمات كما اعتاد الصفعات التي قد يجابهه بها بعض العتاة من زبائنه .

نطق فم :

ـ انظر اليه كالسلطان ابن الكلب .

وقال آخر :

ـ ما زال متغطرسا كأيوان كسرى :

ـ الا ترى قرنيه ؟

ـ لا .

ـ أعمى .

ـ لتكن له قرون او آذان . المهم انه يهيىء لنا مواسدة جسد هذه الزانية اللذيذة سلوى .

كان سعدي جالسا أمام الباب هو ومسبحته وزجاجة الويسكي . وكان الزبائن يمرون به ليسلموه الثمن مقدما . وكلما فرغ الشارع أخرج من انتهى منهم وعاد الى مكانه ليقود طقوس الليل واللذة كلها . يحرك الحاضرين وفق ادوارهم . انت جئت الاول . وأنت حضرت متأخرا . لا تتعجل سيأتي دورك . الليل طويل . خمسة دنانير لا غير . ألم ترها جيدا . انها جميلة وجامحة كفرس السباق . تساوي خمسين دينارا . لسنا طماعين ابدا . وعندما يطبق الباب بعد الثانية ليلا ينصرف ليعد المدخولات بينما تتمدد سلوى على الاريكة جوارها وصوت تنفسها الخشن يتعالى في المكان .

ـ خمسون دينارا دخل اليوم .

ويمسح بيده على خديه الخاسفين . ويأخذ قدحا جديدا من ثمالة زجاجته الليلية . ولم ترد عليه . ثم تنهض متباطئة وتدخل الحمام . كانت لا تقوى على الوقوف تحت رشاش الماء . فتضع كرسيا وتجلس عليه . ويظل رشاش الماء ينسكب على جسدها ويمسده بانتعاش كعشرات الايدي المولهة . ومن ثم تفتح عينيها وتصحو بعد وقت فتضع (برنسها) على جسدها وتخرج الى غرفتها .

« كنت اظن يا سلوى انني سأجدك في وضع آخر . القروح تقيحت ، والافذاء تملأ عينيك . ثيابك مهترئة خلقة وتجربن وراءك أسمالك من فيء الى آخر ويدك ممدودة في انتظار عطاء ! كنت اظن هذا. انني اقول الواقع ولا أجدف مطلقا . ولكن كيف وأنت ساحرة ووحيدة : نظرة منك تحيي ما مات من العظام وما أصبح رميما . ثم اختفيت عن زيارتي . ليس لي من يسأل عنك . وعندما اطلق سراحي بعد عام ونصف كان كل شيء قد تبدل ! كيف تم كل هذا يا سلوى : » .

وملأ كأسه من جديد ونادى :

ـ سلوى ، هل نمت ؟

ـ لا . تعال دلك لي ظهري . عظامي تصلّ عليّ . هذا الكلب البدين أتعبني !

« دخلت السجن بتهمة أخرى لاخرج ثانية كوعل جميل ، له قرنان متينان وثابتان يحمي بهما مملكته التي قد تستباح . فاه : فاه : فاه : كنت مسلوبا امامها . اسير الغواية التي شرنقتني بها . مصت كل دمائي وارتوت مني حتى فرزتني كالنخالة . كلما فتحت عباءتها لي لهث الكلب في اعماقي . ثم فررت بها . نفذنا الخطة التي رسمناها معا في دكاني . وكانت محلتنا تستسلم للصمت والصلاة عندما كنت انا وسلوى متجهين صوب محطة القطار . وعندما اعتليتها اول مرة أحسست كأنني امتطي صهوة العالم . وانني اصبحت سيد البحار والقارات . كنت أهلل بأعلى صوتي وكأنني بدوي يحدو لناقته في ليل الصحراء المقمر . كنت آكلها . الج فيها كل اعصابي وثناياي . اتنفس رائحة الصندل والابنوس ، رائحة البخور والغابات . وكانت تركض امامي . تصهل . الاحقها . اكبو مرات . انهض . اواصل . ولكن اين رسوت ؟ » .

* * *

همس له احد الزبائن :

ـ يا لها من ملعونة : من اين جئت بها ؟

ـ من هذه الدنيا الواسعة .

ـ أؤكد لك ان من يواسدها مرة سيذكرها عمرا . الملعونة :

لا ادري ماذا تفعل : انها تحيل الجسد كله الى عضو ذكورة : تخليك تماما وتسحب ماء ظهرك كله :

ثم ينهض بعد ذلك ليدلف الى غرفتها فقد جاء دوره .

* * *

ويسكب سعدي محتويات زجاجة الويسكي ويقترب من التليفزيون ليشاهد فيلم السهرة الذي اعلنت عنه المذيعة . حياة رتيبة يا سعدي . الزبائن . وزجاجة الويسكي العتيدة ومن ثم فيلم السهرة .

واحيانا . أحيانا متباعدة جدا نشرة أخبار اخيرة من اذاعة بعيدة .

مات العالم يا سعدي من حولك . وجاء زمن النهارات السوداء والليالي المضخمة بالالم :

. . . . . .

ـ كأسك .

ـ في صحتك

ـ لا . في صحة سلوى .

ـ في صحة سلوى العظيمة .

ـ قاه : قاه :

. . . . . .

« ضحكات الليل . السحر والدهشة . السيرة غير العطرة ، والرغاب الفاغرة الافواه ! » .

. . . . . .

ـ افتح الباب

ـ من انت ؟

ـ جبار البناء ، ألا تعرفني ؟ اين سلوى ؟ سأقتلك ان لم اضاجعها الليلة .

ـ غير موجودة .

ـ سأدفع اي مبلغ تريده . لقد ربحت خمسمائة دينار في (الريسز) هذا اليوم . (المغيرة) ربح . اطرد كل الموجودين . اريد سلوى لي وحدي الليلة . افتح الباب . سأطردهم بنفسي ألا تفتح ايها القواد ؟!

« قاه : قاه : ابحار في يم الرذيلة : الاسطورة . التدمير . الخيال . اللهيب . الخرافات . الكبت . مطاردات الاهل والقبيلة . رحلة الليل . قطار الفرح والاسى . وماذا بعد يا ليل ؟ يا سماء ؟ » .

ـ لن افتح .

ـ تفتح وأسحق انفك بالحذاء .

ويركل الباب بقوته .

ـ اريد سلوى .

ثم يتوسط الشارع ويظل يجأر .

ـ اريد سلوى . ان لم تخرجها لي سأقتلك .

ويسرع سعدي ويفتح الباب . ثم يشير له بيده ان يصمت .

ـ هيا ادخل . استرنا ، وطىء صوتك ، اتريد ان تفضحنا أمام الجيران ؟

ثم يطبق الباب بعد أن يدلف الزبون .

ـ الجيران يعرفوننا زوجين اعتياديين فماذا تتصور ؟ هل نحن في الميدان ؟

ـ لماذا لا تفتح لي الباب اذن ؟

ـ هناك قبلك ثلاثة والساعة الواحدة الان .

ـ قلت لك ربحت خمسمائة دينار وسابقى معها حتى الصباح . سأدفع لك مائة دينار هل هذا يكفي ؟

ـ اجلس اولا . هنا بجانبي . سأهيىء لك قدحا .

ـ لقد اكتفيت . لا اريد بعد . شربت نصف زجاجة ويسكي ، واكلت دجاجة مشوية ، انني مستعد للجولة . لا بد من ان اتهيأ سلفا والا طرحتني مهرتك وداست في بطني .

* * *

« عندما خرجت من السجن كان كل شيء قد تغير . ولما ضغطت زر الجرس ظهرت لي . يا الله ! انها سلوى نفسها . ولكن كيف اصبحت هكذا ؟ وهمست لي ببرود :

ـ اهذا انت ؟

ثم زفرت بوجهي دخان سيكارتها .

ـ أهكذا تستقبلين زوجك ؟

وعربدت قهقهة داعرة من صوتها قبل ان تقول :

ـ صح النوم .

ـ اخرسي ايتها الـ ..

ـ لماذا لا تكمل ؟

ـ كيف تتكلمين هكذا معي ؟

ـ تعال ادخل اولا .

ودخلت . يا للسماء : اين ارائكنا المهترئة التي اشتريتها من المزاد العلني ؟ اين صورتي التي تتوسط الجدار ؟

ـ سأقتلك .

وانطلقت ضحكة داعرة أخرى من حنجرتها .

ـ ماذا تنتظر اذن ؟ ستختصر الزمن ليس الا . وان لم تفعل ذلك سيفعله اولئك الذين يبحثون عنا .

ـ لقد لطخت شرفي !

قاه : قاه : يا مدينة المصائب والاعاجيب :

ـ لدي مسدس ، اتريده ؟

ـ سأسلمك لاهلك .

ـ سيقتلوننا معا . انسيت ؟

وبعد حيرة أعلنت :

ـ انا ذاهب

ـ الى اين :

ـ لا ادري :

ـ سيلتقون بك ، سيسألونك عني ، سيذبحونك ، الا تعي ؟ ثم ارتمت على صدري وطوقتني بذراعيها . وتموجت قطتي القديمة ، ارتجفت ساقاي ، واختض جسدي الجائع . والتصقت فيها بحرمان عام ونصف . الزنزانة الرهيبة ، والليل القاسي الطويل . القهقهات الجوفاء وعراك اللصوص والحشاشين . الحضن الدافىء الذي افتقدته الحضن الذي بكيته عاما ونصف عام منذ ان اصطادوني في تلك المظاهرة الصاخبة التي زرعت جسدي فيها ضجرا . اخذت عنقها وشفتيها . ثم اتيت على بطنها وفخذيها . أكلتها ثم تجشأت » .

* * *

سألته :

ـ وماذا قررت :

ـ ما زلت لا ادري :

ـ ابق هنا يا سعدي واختفت وراء هذا الباب . هذا هو الحل الوحيد . لنمدد في فترة تنفسنا حتى يأتي اليوم الذي يجدوننا فيه . ماذا قلت ؟

ـ وماذا بعد يا سلوى . »

ـ لا قبل ولا بعد ، فالسور من حولنا محكم كل الاحكام ولا جدوى من البحث عن منفذ منه .

ـ سأفكر .

ـ حياة آمنة يا سعدي ، لا تخلو من مضايقات في بعض الاحيان ، ولكنك قوي بما فيه الكفاية وتستطيع ان تصد من يحاول ايذائي . اليس هذا مناسبا ؟

وعندما هز رأسه بالايجاب شعر به ثقيلا كرخامة كبيرة . وامتدت يده لتتحسسه فاصطدمت بقرنين صغيرين .

بغداد **عبد الرحمن مجيد الربيعي**